المجلة الجزائرية للمخطوطات المجلد 13 / عدد خاص جوان 2017، ص 113– 123

العالم الجليل محمد بن عمر الهواري من خلال كتابات أبي راس

The great scholar Muhammad bin Omar Al-Hawari through the writings of Abu Ras

محمد لعباسي*

جامعة وهران 1 (الجزائر)،

ملخص:

إنّ الاهتمام بالعلماء واحترامهم كان سمة المجتمع خلال فترات زمنية مختلفة، فالعالم له مكانة مرموقة بين الناس، وحتى السلطة الزمنية كانت تتعامل مع هذه الفئة، ايجابا حينما تريد التقرب إليهم وتقريبهم إليها لضمان نفوذها، وتحكمها في الرعية، وسلبا لما يصعب عليها اخضاع عالم من العلماء، فيكون مصيره إمّا الهجرة إلى بلد آخر، أو اختيار مكان بعيدا عن الناس للزهد. أمّا وهران فقد عُرفت باسم "سيد الهواري" نسبة للعالم الجليل محمد بن عمر الهواري، والذي جاء ذكره في العديد من المصادر منها كتاب ابن صعد وابن خلكان وغيرهما، واستظهارا لما كتبه المؤرخون عن هذه الشخصية تأتي هذه المداخلة للوقوف عمّا كتبه أبو راس الناصري عنها خاصة في كتبه الثلاث: عجائب الأسفار، الخبر المعرب، والحلل السندسية.

الكلمات المفتاحية: الهواري ؛ التصوف ؛ أبو راس؛ عجائب الأسفار، وهران

Abstract:

The concern for scholars and their respect was characteristic of society during different periods of time, for the world has a prominent position among people, and even temporal authority used to deal with this group, positively when it wanted to draw close to them and bring them closer to it to ensure its influence and control over the parish, and negatively for what is difficult for it to subjugate a scientist So, his fate is either to emigrate to another country, or to choose a place far from people

*المؤلف المرسل

for asceticism. As for Oran, it was known as "Sayed Al-Hawari" after the great scholar Muhammad bin Omar Al-Hawari, who was mentioned in many sources, including the book of Ibn Sa`d, Ibn Khallikan, and others. Recalling what historians have written about this character, this intervention comes to find out what Abu Ras al-Nasiri wrote about it, especially in his three books: Wonders of Travel, Arab News, and Al-Sindusian Analysis.

مقدمة:

إنّ الاهتمام بالعلماء واحترامهم كان سمة المجتمع خلال فترات زمنية مختلفة، فالعالم له مكانة مرموقة بين الناس، وحتى السلطة الزمنية كانت تتعامل مع هذه الفئة، ايجابا حينما تريد التقرب إليهم وتقريبهم إليها لضمان نفوذها، وتحكمها في الرعية، وسلبا لما يصعب عليها اخضاع عالم من العلماء، فيكون مصيره إمّا الهجرة إلى بلد آخر، أو اختيار مكان بعيدا عن الناس للزهد.

أمّا وهران فقد عُرفت باسم "سيد الهواري" نسبة للعالم الجليل محمد بن عمر الهواري[2]، والذي جاء ذكره في العديد من المصادر منها كتاب ابن صعد وابن خلكان وغيرهما. واستظهارا لما كتبه المؤرخون عن هذه الشخصية تأتي هذه المداخلة للوقوف عمّا كتبه أبو راس الناصري عنها خاصة في كتبه الثلاث: عجائب الأسفار، الخبر المعرب، والحلل السندسية.

1. التعريف بشخصية أبي راس [3] وكتبه الثلاثة:

من الأعلام الذين تركوا أثارا بارزا في الحياة الثقافية في أيّالة الجزائر العالم الجليل والفقيه الحافظ أبو راس الناصري.

أ . التعريف بشخصية أبي راس: هو واحد من أعلام الجزائر عاش في أواخر الفترة العثمانية، ولد يوم 08 صفر 1165هالموافق لـ أفريل 1755م)، بقلعة بني راشد، قرب مدينة معسكر.[4]

لقد اشتهر أبو راس بلقب:" الحافظ "[5]، لغزارة علمه، وقوة ذاكراته وسرعة حافظته، فقد قال فيه الحفناوي:"...ودرس وأفاد، ورفع منار العلم وأشاد. وكان يُدعى في زمانه الحافظ، لقوة حفظه وتمكنه متى شاء من استحضار مسائله، حتى كأن العلوم كتبت بين عينيه..."[6]. كما سماه المؤرخ الكتاني،

بـ"حافظ المغرب الأوسط «. [7]وفي هذا الشأن يقول أبو راس: "...واشتهرت في مدينة فاس، ولقبوني بـ" الحافظ". [8]

لقد تعلم أبوراس على العديد من المشايخ الأفاضل كان لهم الفضل في الكبير في بروزه كشخصية علمية، استطاعت أن يكون لها شأن في الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منهم على وجه البيان لا الحصر:

فقد درس أبو راس على والده أحمد بن أحمد بن الناصري، المصحف الشريف في بداية حياته العلمية من الآية الأولى من سورة الانفطار، إلى غاية "تِلْكَ الرُّسُلُ ..."، الآية: 253 من (سورة البقرة). ومن الملاحظ على سيرة أبي راس الذاتية، أنه نشأ في وسط عائلة قرآنية، مما جعله يختصر المراحل الأولى من تعليمه منذ بدايته مع تعلم الحروف، حتى حفظ القرآن الكريم.[9]

ثم الشيخ علي التلاوي: الذي ضرب رأسه ذات مرة، لأنه لم يحسن صورة حرف الفاء، فلم يعود إليه ولا إلى معلم الصبيان أبدا. وأخذ عن الشيخين الضرير وابن الجزري، قراءة القرآن الكريم برواية ورش عن نافع وقالون، وأحكام القراءة والتجويد.

ثم رحل إلى مازونة فتعلم على أيدي شيخها أبي طالب محمد بن عليّ بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الشارف المازوني المتوفى بمازونة سنة 1233هـ/1817م. كما قرأ بهذه المدينة على عالمها الشيخ أبي رأس المازوني سليل الجدين أبي طالب لأبيه وأبي رأس لأمه. وبعدها سافر خارج الوطن حيث نزل بتونس سنة 1318هـ/1900م فبقي بها نحو السنة، ثم إلى مصر وفيها أكمل مؤلفه هذا سنة 1329هـ/1911م، ولعل وفاته كانت سنة 1336هـ/1917م بمصر. قال الكتاني:" والثبت المذكور في مجلد وسط، وقفت عليه بمازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري، وعمله في المؤلف المذكور أنه يظن أن أبا طالب المذكور ممن شملته إجازة أبي مهدي الثعالبي العامة لأهل العصر، فروى له جميع مرويات الثعالبي، فساق في مؤلفه أسانيد جل الكتب المتداولة والعلوم المشهورة".[10]

الشيخ البشير التواتي التونسي: هو شيخ القراء بالديار التونسية العالم الصالح محمد البشير ابن محمد الطاهر الشهير بالتواتي، البجائي الأصل التونسي الدار، ولا علاقة له بتوات، إنما سمي على رجل صالح من أهل توات، المتوفى سنة 1311هـ/1893م. أخذ القراءات عن الشيخ محمد بن الرايس التونسي عن الشيخ محمد المشاط التونسي عن الشيخ حمودة بن محمد بن إدريس الحسني عن الشيخ محمد الحرقافي السفاقصي عن أبي الحسن عليّ النوري السفاقصي عن أبي عبد الله الأفراني المغربي عن الشيخ سلطان المزاحي بأسانيده المعروفة.[11]

إضافة إلى هؤلاء العلماء الذين تلقى أبوراس عنهم العلم، لديه شيوخ آخرون، بلغ تعدادهم ما يقارب "خمسين شيخا وعالما. وهؤلاء تتلمذ على بعضهم في أم عسكر وفي مازونة، كما تتلمذ على آخرين في المغرب والجزائر وقسنطينة وتونس. كما أخذ عن علماء مصر والحرمين".[12]

وتخرج على يديه جملة من التلاميذ درسوا عنه، وتعلموا منه، ليصبحوا علماء وفقهاء ممتطين بساط شيخهم ومنوهين بعلمه وفضله، ومن جملتهم على سبيل المثال لا الحصر:

- الشيخ أبو حامد العربي المشرفي: هو العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي، الحسني الغريسي حفيد عبد القادر المشرفي، شيخ أبي راس الناصري[13] وصاحب الكتاب الموسوم بـ " بهجةالناظر". ولد العربي بغريس بنواحي أم عسكر.
- الشيخ العربي بن السنوسي: هو محمد العربي بن السنوسي، كان يدرس القرآن الكريم برواية ورش، وسائر الفنون، أخذ عنه محمد بن علي السنوسي وولده سيدي محمد.
- الشيخ محمد السنوسي (1202/1276هـ/1787/1859م): هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل فدرس علوما مختلفة، من بين تآليفه: "الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية"، والمسائل العشر المسماة: " بغية المقاصد وخلاصة المراصد"، والشمس الشارقة في أسماء مشايخ المغاربة والمشارقة،ولذا يقول محمد بن

عيسى السنوسي: "... ومنهم شيخنا وشيخ مشيختنا الهمام والحافظ، الإمام سيدي محمد أبو راس المعسكري البلد، الناصري المحتد رحمه الله، كنت اتردد إليه".[14]

- الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله (ت 1215هـ/ 1800م): هو الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله ابن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس، وكان كاتبا للباي محمد بن عثمان، ومساعدا لرئيس رباط إيفري للطلبة قرب وهران وشارك بنفسه في الهجوم الشامل وتحرير مدينة وهران التحرير الثاني والنهائي عام 1206هـ_1792م كما عين ابن زرفة قاضيا بها (وهران) إلى غاية (1215_1216هـ /1800-1801م).[15]

3- المهام التي تقلدها:

أول مهنة امتهنها أبو راس كانت في مجال التدريس بمعسكر[16]، حيث مارس هذه التعليم في سنة 1166هـ/1752م، وكانت هذه المبادرة بدفع من شيخه عبد القادر المشرفي الذي رشحه ليكون خليفة له في التدريس. وسبب خروجه من أم عسكر هو إحساسه، من أن البادية تضعف العلم، وتزرع بين طالبي العلم الجهل والضلال. كان مجلسه يضم أحيانا أكثر من سبعمائة وثمانين 780 طالبا، وهو ما دفع بالباي محمد بن عثمان الكبير ليخصص له كرسيا يستعين به في إلقاء دروسه، نظرا لنحافة جسمه التي لم تكن تسمح له بالظهور من وسط الطلبة بسبب ازدحامهم عليه، ومن ثم سمي الشيخ بـ: صاحب الكرسي الدوار. وأصبح ينوب عن الشيخ عبد القادر المشرفي في إلقاء دروس العلم كما تقدم ذكره، وبذلك كفوه حاجاته.[17]

كما أسندت لأبي راس مهمة القضاء وهي ثقيلة على كل عالم ومجتهد، فتولاها، وهو كاره لها مدة سنتين، حيث كانت تعيقه، وتشغله عن حياته العلمية، لأنه كان يختم مختصر الشيخ خليل ثمان مرات إلى جانب تصديه للإفتاء. لكنه سرعان ما عزل من منصبه بسبب فتنة درقاوة كما كان يجلس للدرس فيبدأ من باب الاعتكاف في الفقه المالكي، ولا يقوم حتى يقف على باب الزكاة تتخللها نكت وطرائف حتى صارت حضرته في العلم تُذكر في الآفاق.[18]

– مؤلفات أبي راس:

عرف أبو راس بكثرة مصنفاته العلمية التي ناهزت المائة وخمسين مؤلفا في معظم الفنون والعلوم، غير أن الكثير منها لا يزال مخطوطا، والآخر منها مفقودا. ولقد شملت مؤلفات أبو راس مجموعة واسعة من العلوم والفنون نقليها وعقليها على رأسها علوم القرآن الكريم وتفسيره مثل:مجمع البحرين ومطلع البدرين بالتفريد في تفسير القرآن المجيد، وفيه أربعة أسفار في كل سفر خمسة عشر حزبا[19]. وكتاب:" الإبريز والإكسير في التفسير"، في ثلاثة أسفار.

وفي علم الحديث ألّف عدة كتب منها:" النور الساري في شرح صحيح البخاري"، في أربعة أسفار. و"مختصر المعلم في شرح مسلم"، في ثلاثة أسفار، وفي الفقه المالكي وأصوله كتب إحدى عشر كتابا، وفي اللغة والنحو والصرف خمس مؤلفات، والتوحيد والعقائد والتصوف ثماني مؤلفات، كما كان له إسهام في علم المنطق والحساب والفلك،والجغرافية[20]،وفي مجال **التاريخ والأنساب له أربعة وثلاثون مؤلفا**[21]، منها:

_ الحلل السندسية فيما جرى بوهران والعدوة الأندلسية، وقد قامت الأستاذة: سليمة بنعمر بتحقيقه وطبعه سنة 1570هـ الموافق لـ 2002م ونشرته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا.

– عجائب الأسفار ولطائف الأخبار فيما جرى بالأندلس ووهران بين المسلمين والكفار. وقد درسه الدكتور بوركبة محمد وقام بتحقيقه في إطار انجاز رسالة الدكتوراه في قسم الحضارة الإسلامية بجامعة وهران سنة 2008م، وقد تكفلت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بطبعه في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

– القصص المغرب والخبر المعرب عن الحال المغرب بما وقع في الأندلس وثغور المغرب. هذا الكتاب لا زال مخطوطا، ولكن الدكتور بوركبة محمد قد قام بتحقيقه وهو في طريقه إلى دار النشر لطبعه.

2. شخصية محمد بن عمر انطلاقا من هذه المصادر الثلاثة:

من خلال الاطلاع على الكتب الثلاثة السالفة الذكر، يجد الباحث أنّ أبا راس لم يخصص عنوانا خاصا لشخصية الإمام الهواري محمد بن عمر شيخ مدينة وهران،بل تطرق إليه عرضا وفقط، في إشارات معدودة وفي صفحات قليلة، حينما تكلم عن وهران أو عن تلميذه ابراهيم التازي، ومن خلال قراءة هذه الكتب الثلاث المذكورة، نجده أنه قد تطرق إلى مايلي:

أ . نسبه:

تطرق أبو راس إلى نسب محمد بن عمر الهواري، إلى قبيلة مغراوة فهو محمد بن عمر بن عثمان بن لسيع بن عياشة بن عكاشة المغراوي المعروف بالهواري[22]، مذكرا بفروع قبيلة مغراوة في بلاد المغرب الإسلامي حيث أشار إلى أنّ لها فرعا في طرابلس الغرب، وبضواحي مراكش والسوس، وملوية في المغرب الأقصى أمّا في بلاد المغرب الأوسط فعدد كل من قبيلة سنجاس وقبيلة حذو ببجاية، وريغة في منطقة الزاب، وجبل راشد وبنو ورا بقسنطينة، وبنو خلوف في أسفل نهر الشلف، وهناك قبيلة مشهورة بمغراوة في بني زروال، التي ينتسب إليها محمد بن عمر المذكور.[23]

ب . ألقابه:

وصف أبوراس الإمام محمد بن عمر الهواري الكثير من الألفاظ الدالة على علو مكانته العلمية في مدينة وهران، فذكره: "... بالقطب الشهير والعالم الكبير كما هو في كتابه" خبر المعرب..."[24]،وهو شيخ الشيوخ المشهود له بالثبت والرسوخ نقلا عن ابن صعد.[25]وأضاف أيضا: "...أن ولايته كولاية الشيخ أبي مدين المغيث".[26]كما وصفه أيضا بالعالم الرباني، اي أنه عالم بما علّمه الله، وعامل بطاعته، ومعلم الناس ما أمر به.[27]

ج . كراماته:

ومن الأمور التي أشار إليها أبوراس في كتاباته وهو يتكلم عن الشيخ محمد بن عمر الهواري كرامات هذا الأخير، وقال عنها أنها أشهر من أن تُذكر[28]، وتحدث عن أمر السلوقية التي ساهمت في ارجاع الأسير إلى أمه بوهران، ودعائه على أبي فارس السلطان الحفصي.[29]

د . ومن الأمور التي أشار إليها أبو راس أيضا حينما تكلم عن تلميذ الإمام الهواري محمد بن عمر وهو الشيخ ابراهيم التازي، أنّه كان يدرس الفقه، ويشرح مختصر خليل في مسجده بوهران.[30]

هـ . هناك أسطورة منتشرة في مدينة وهران أن الإمام محمد بن عمر الهواري قد دعي عليها بعد مقتل ابنه، وقد تطرق أبو راس إلى هذه المسألة في كتاباته، فأشار في كتابه " عجائب الأسفار..." إلى أن سبب احتلال النصارى لوهران كان بدعاء الشيخ محمد بن عمر الهواري بذلك، لما قتل بنو زيان ولده، [31]، ولكنه تراجع عن هذا في كتابيه " الخبر المعرب" و" الحلل السندسية"، حيث قال :"..لم تدخل لوهران لدعوة الشيخ الهواري كما توهم الناس، بل احتلت وهران بعد وفاته باثنين وسبعين سنة، وبعد وفاة تلميذه ابراهيم التازي بثمان وخمسين سنة".[32]

و. وفاته ومكان دفنه: تطرق أبو راس لوفاة الإمام محمد بن عمر الهواري في أكثر من موضع، وذكر تاريخها أنها كانت في صبيحة يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة للهجرة[33] ...ورجّح أبو راس مكان ضريح الإمام الهواري محمد بن عمر وقال أنه:في وهران عكس الروايات الأخرى، مستدلا بالبيت الشعري لمحمد بن عبد المؤمن وهو يحرض حسن باشا على فتح وهران، " واحلل بتلك الأباطح...واستصرخه دفينها الأواها "

فبهذا البيت ردّ على قول أن الإمام الهواري مدفون خارج مدينة وهران، خاصة الرواية التي تتحدث أنّ قبره في جبل تاركة قرب قبر الشيخ المسعود.[34]

هـ . المصادر المعتمدة:

ومن المصادر التي اعتمد عليها أبو راس في حديثه عن محمد بن عمر الهواري، كتاب ابن صعد التلمساني محمد بن ابي الفضل المسمى بـ" النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب"' وقال فيه أبو راس أنّه أشبع ابن صعد فيه الكلام عن الهواري محمد بن عمر، وكتاب ذيل الديباج لأحمد باب التنبكتي الذي اعتبر ولاية محمد بن عمر الهواري كولاية أبي مدين الغوث.[35]

3. خاتمة.

ان الجزائر لتفتخر برجالها وعلمائها الذين تركوا لنا تاريخا حافلا بإنجازاتهم المختلفة، فالعالم والفقيه محمد بن عمر الهواري واحد من هؤلاء الذين يجب الوقوف على حياتهم وآثارهم حتى نستخلص العبر، ونحصن المرجعية الفكرية في الجزائر، ونصون الوحدة الترابية، ونؤمن للناس حياتهم.

ومن مظاهر احترام هذا العالم في مدينته من طرف الناس، نجد أنهم يلقبونه أبناءهم باسم" هواري" للذكر و" هوارية " للبنت تيمنا به، إضافة إلى سردهم للعديد من الكرامات، والتي أحيانا تكون قريبة للخيال، أكثر منه للواقع، كأمر السلوقية، التي فكّت أسر أحد المسجونين بالأندلس، سواء أكانت هذه الحكايات عن كراماته رحمة الله عليه صحيحة أم لا.

وللتذكير أن الإمام الهواري كان عالما فقيها، درّس في المشرق والمغرب، وفي مدينة وهران بصفة خاصة، وكان من جملة تلاميذه العالم الجليل ابراهيم التازي رحمه الله.

الهوامش:

1. محمد لعباسي، الإفتاء في الجزائر العثمانية، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د.سلطاني الجيلالي، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012م،ص165.
2. المرجع نفسه، ص165.
3. ينظر، أبو راس الناصري الجزائري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق:بوركبة محمد، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ص ص03 – 25.
4. المصدر نفسه، ص 03.
5. المصدر نفسه، ص 05.
6. أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991م، ص167.

7. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، اعتناء: إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982/1402م، ص 150.

8. أبوراس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق وضبط: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص24.

9. أبوراس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص 24.

10. عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ص508.

11. المرجع نفسه، ص508.

12. مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م، ص 01.

13. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1989م، ص 175.

14. عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1996م، ص ص47- 97.

15. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ص 233.

16. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ص175.

17. أبوراس، عجائب الأسفار...، ص15.

18. المصدر نفسه، ص16.

19. أبوراس، فتح الإله...، ص179.

20. المصدر نفسه، ص 179.

21. أبوراس، عجائب الأسفار...، ص 21.
22. أبوراس محمد الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق: سليمة بنعمر، دار صنين للطباعة والنشر، ليبيا، ص:204. وينطر، أبو راس، الخبر المعرب، نسخة في مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، ص 04.
23. أبو راس، عجائب الأسفار...، ص200.
24. أبو راس محمد الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، ص204. وينطر، أبوراس، الخبر المعرب، ص 04.
25. أبو راس محمد الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، ص:204. وينطر، أبو راس، عجائب الأسفار، ص237.
26. أبو راس، الخبر المعرب، ص04.
27. أبو راس، عجائب الأسفار، ص80.
28. أبو راس، الحلل السندسية، ص 204.
29. المصدر نفسه، ص ص 204- 205.
30. أبو راس، عجائب الأسفار، ص 83.
31. نفس المصدر، ص240
32. أبو راس، الخبر المعرب، ص04. وينظر، الحلل السندسية، ص205.
33. أبو راس، الحلل السندسية، ص204.
34. المصدر نفسه، ص ص208-209.
35. المصدر نفسه، ص204.